حول العوده / بديل ايار ٢٠٠٥

واشنطن ٢٠ على أساس عنصري

(ارشيف بديل)

بقلم: شوقي العيسه*

يحاول العالم الذي يسمي نفسه متحضرا، في هذه المرحلة التاريخية أن يظهر أنه يحارب العنصرية بكل قوة، ويركز بالاساس على محاربة اللاسامية، وفي نفس الوقت يقدم الدعم بكل اشكاله لحكومة اسرائيل التي لا تخفي عنصريتها المفرطة، سواء في داخل اسرائيل ضد كل من هو غير يهودي وحتى ضد اليهود الشرقيين، او في الخارج ضد الشعب الفلسطيني وخاصة اللاجئين. وفي الواقع، فإن تأثير جريمة الهولوكوست على الاوروبيين، من جهة، ونفوذ وتأثير الحركة الصهيونية من جهة اخرى هو ما يؤدي الى هذا التناقض الغريب في موقف الاوروبيين من العنصرية، أما في الولايات المتحدة الامريكية فالوضع مختلف حيث أن الإدارة الأمريكية لا تأبه بالقانون الدولي ولا بالاخلاق او القيم ولا تؤثر عليها مواقف عنصرية او غير عنصرية، حيث تتصرف كشركة احتكارية وفق مصالحها دون أي وازع اخلاقي او قانوني، وخاصة في ظل الادارة الحالية، أما تأثير اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة على الحكومة فسقفه دائما مدى تلائم مصالح هذه الحكومة مع المصالح الصهيونية.

ويجب النظر الى قضية اللاجئين الفلسطينيين ضمن هذه المعطيات، كون الولايات المتحدة واوروبا هما القوتان المقررتان الى حد بعيد في مجمل قضايا الشرق الاوسط. وتبقى كل العوامل الاخرى عبارة عن عوامل تمنع او تعرقل ضمن موازين قوى معينة الحل الامريكي الاوروبي الاسرائيلي لقضايا الشرق الاوسط بما في ذلك قضية اللاجئين الفلسطينيين. والحركة الصهيونية منذ بدأت العمل على تأسيس دولة لليهود في فلسطين بعد مؤتمرها في عام ١٩٠٣ الذي حسم خياره نحو فلسطين وليس أوغندا أو غيرها، وهي تخطط لتفريغ فلسطين من الفلسطينيين، والوثائق الصهيونية والاسرائيلية نفسها تثبت كيف خططوا وعملوا على تحقيق هذا الهدف طوال الوقت وخاصة في فترة النكبة، وجاءت كتابات من اصطلح على تسميتهم "المؤرخون الجدد" في اسرائيل لتثبت من جديد هذه المخططات وتزيح جانبا الموقف الاسرائيلي الرسمي الدائم بأن اسرائيل غير مسؤولة عن قضية اللاجئين وانها لم تكن سببا في رحيلهم، وبالتالي فهي ترفض عودتهم الى ديارهم، وهذا الموقف الاسرائيلي يلقى دعما امريكيا واوروبيا دون خجل كونه موقفا عنصريا لا يوجد اي تبرير اخر له، فحتى لو افترضنا جدلا انها غير مسؤولة عن رحيلهم فلماذا ترفض عودتهم كونها تدعي انها لم ترد اخراجهم.

يرتكز الحل المطروح اسرائيليا لقضية اللاجئين على المحافظة على الطابع الديموغرافي اليهودي للدولة وعلى النقاء العرقي او الديني، وهذا الحل الذي يلقى دعما امريكيا واوروبيا، بل وحتى من يرفضه على الصعيد الاقليمي والمحلي يطرح موقفه بخجل (باستثناء اللاجئين ومن يدعمهم) ، انما يدلل على ان اسرائيل تسير خارج نسق التطور السياسي الاجتماعي الاقتصادي الحتمي في العالم، لان هذا الحل على المدى البعيد شبه مستحيل، واسرائيل عليها ان تعي جيدا انها لن تعيش الا اذا كانت جزءا من الشرق الاوسط مقبولا من باقي دول الشرق الاوسط، وهذه لا تستطيع التعامل مع اسرائيل بشكل طبيعي الا اذا وافق الفلسطينيون على ذلك، وما يعزز هذا اكثر فاكثر تلك التفاعلات الديموقراطية في دول المنطقة والتي بالتاكيد ان عاجلا او اجلا ستمكن شعوب المنطقة من التخلص من الانظمة الديكتاتورية، مما سيقضي على التبعية والخنوع للولايات المتحدة وبالتالي على حلولها المطروحة لقضايا الشرق الاوسط بما فيها قضية اللاجئين، ويفترض ان امريكا تعرف ذلك مما يجعلنا نشعر بالاسف على اولئك الذين يعتقدون ان الولايات المتحدة تعمل على تحقيق الديموقراطية في الدول العربية لانها ببساطة لا يمكن ان تعمل ضد نفسها وضد مصالحها.

اسرائيل بطبيعتها الحالية لا يمكن ان تعمل للوصول الى حل مع الفلسطينيين لان اي حل مهما كان سيئا علينا يعني بالضرورة بعض التنازلات من اسرائيل تتناقض مع طبيعتها العنصرية والتوسعية، ولانها تعرف ان اي حل يفرض علينا ولا يحقق على الاقل الحد الادنى من حقوق الفلسطينيين لن يصمد ولن يكون حلا نهائيا. اما الحل الذي بامكانه انهاء الصراع والوصول الى سلام حقيقي فانه بالضرورة يشترط قبل اي شيء اخر القضاء على العنصرية في اسرائيل، مما يتيح المجال لحل كل القضايا بما فيها قضية اللاجئين، وقد اثبت الدكتور سلمان ابو ستة من خلال دراساته العلمية ان حل قضية اللاجئين بعودتهم هو حل واقعي وممكن وقانوني وعادل.

أمام هذا الواقع الذي يدلل على انه لا مجال لحل قضية اللاجئين في المستقبل المنظور حلا عادلا، فان المهمة الآنية على اللاجئين الفلسطينيين العمل على عرقلة وافشال الحل الاسرائيلي المطروح، والقيام بطرح برنامج عمل استراتيجي واضح المهام والخطوات والاهداف وامكانية تحقيقها، وبناء التحالفات وخاصة مع الشعوب العربية الطامحة للتغيير الديموقراطي والقوى المناصرة للعدالة والعاملة ضد الكولونيالية الجديدة في العالم، وكذلك مع القوى الاسرائيلية غير العنصرية وان كانت صغيرة الحجم. كذلك اعتقد، امام هذا الضغط الكبير من امريكا واوروبا لفرض حل غير عادل، انه اصبح من الضروري على اللاجئين حسم بعض المواقف التي من شأنها الابقاء على قضية اللاجئين قضية حية يجب حلها، مثل، وضعهم في داخل مناطق السلطة الوطنية بهدف الحفاظ عليه كلاجئين وليس كمواطنين وهذا يعني موقفا من المشاركة في انتخابات المجلس التشريعي وموقفا حاسما ضد محاولات النيل من مكانة وكالة غوث وتشغيل اللاجئين السياسية وابقائها حتى لو لم تعد قادرة ماليا على تقديم خدماتها، هكذا مواقف ستساعد ايضا في افشال مخططات اعادة اللاجئين من الخارج الى مناطق السلطة الوطنية وليس الى مدنهم وقراهم الاصلية.

إن الحل الذي بامكانه انهاء الصراع والوصول الى سلام حقيقي، فإنه بالضرورة يشترط قبل اي شيء آخر القضاء على العنصرية في اسرائيل، مما يتيح المجال لحل كل القضايا بما فيها قضية اللاجئين.

ان العمل المبرمج الهادف والمخطط جيدا سيجعل حتى الاسرائيليين ومن يدعم طرحهم في امريكا واوروبا يقف ويفكر بان حلولهم المطروحة لن تنجح في انهاء الصراع ولن تحقق السلام العادل والحقيقي، ومن جهة اخرى سيدعم القوى غير الفلسطينية التي تطالب بحل بعيد عن العنصرية يحقق الامن والسلام للشعبين سواء من خلال دولتين متجاورتين ومتعاونتين او من خلال دولة واحدة تحافظ على امن وسلام الجميع، كما ان العمل من اجل حل عادل سيسخف امام الجميع المعادلة المهينة للشعب الفلسطيني "الارض مقابل السلام" وكأن الشعب الفلسطيني مجموعة من العصابات اذا تكرمت عليها اسرائيل واعطتها جزءاً من الارض فانها ستتوقف عن العمل ضدها، في حين ان الحقيقة الساطعة هي أن اسرائيل دولة اقيمت على انقاض الشعب الفلسطيني واحتلت ارضه وضربت بعرض الحائط القانون الدولي وقرارات الامم المتحدة، وان الشعب الفلسطيني في كل الحلول المطروحة هو الذي يقوم بالتنازل واعطاء اراضي لاسرائيل مقابل السلام، وتصبح تلك المعادلة صحيحة في حال انها تعني ان الشعب الفلسطيني هو الذي يعطي ارضا مقابل السلام.

---

*شوقي العيسه هو محام وخبير قانوني متخصص في مجال القانون الدولي، ويعمل في مجال الدفاع عن حقوق الانسان.